الصناعة المعجمية العربية(أطوارها ومدارسها)

أ.د. عبد الكريم مصلح أحمد البحله•

ملخص :

يتناول هذا البحث الصناعة المعجمية العربية ومدارسها من خلال ثلاثة محاور أساسية، تناول المحور الأول المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظي المعجم والقاموس والفرق بينهما، إذ تتبع الباحث التطور الدلالي للجذر اللغوي (عجم)، حتى وصل إلى دلالته على هذا المصطلح (المعجم)، وذكر المعنى اللغوي للقاموس، وبَّين الدلالتين، وذكر الدلالة الأقرب إلى مفهوم هذا المصطلح.

وتطرق البحث أيضاً في هذا المحور إلى أنواع المعاجم العربية وأقسامها معرفاً كل نوع مبيناً أقسامه، وما أضافه اللغويون المحدثون من أنواع .

أما المحور الثاني فقد ركَّز على المراحل المختلفة التي مرت بها المعاجم العربية منذ بواكيرها الأولى على يد ابن عباس ت(68هـ) ونضجها على يد الخليل بن أحمد ت (170 هـ) مبيناً المُدد الزمنية التي خبت فيها الصناعة المعجمية وأسباب ذلك، والمُدد التي ازدهرت فيها وأسباب ذلك، وذلك حسب التسلسل الزمني حتى القرن الثالث عشر الهجري، إذ توقف عند معجم (تاج العروس) للزبيدي ت(1205هـ). وقد بيَّن

• أستاذ اللسانيات العربية، كلية الآداب، جامعة ذمار .

عميد كلية الآداب .

الباحث أهم مظاهر التطور التي اتسمت بها كل مرحلة، فضلاً عن إعطاء صورة موجزة عن كل معجم من المعاجم العربية المشهورة التي ظهرت في كل مرحلة .

أما المحور الثالث فقد تناول مدارس المعاجم العربية، إذ بَّين الباحث اختلاف الدارسين المحدثين في عدد تلك المدارس، وفي تسمية رواد بعض تلك المدارس، موضحاً سبب ذلك الاختلاف. مقدماً تقسيماً جديداً لمدارس المعاجم العربية – مقترحاً بعض المصطلحات التي اقتضاها ذلك التقسيم – فضلاً عن الإشارة إلى المبتكر الأول لكل طريقة أو منهج من المناهج التي اشتملت عليها تلك المدارس، و توضيح التطورات التي مرت بها تلك المناهج، والعلماء الذين كانت لهم بصمات واضحة في ذلك التطور. وكل ذلك قد جاء بعد مدخل بَّين اهتمام الأمم بالصناعة المعجمية.

مدخل :

كان من ضمن اهتمام الأمم القديمة، التي وصل إلينا تراثها الاهتمام بالدرس اللغوي، وقد أكدت الاكتشافات الأثرية والنقوش ذلك، فضلاً عما وصل إلينا من تلك المصنفات. و كانت الصناعة المعجمية من أهم موضوعات الدرس اللغوي عند تلك الأمم، لما للمعاجم من أهمية كبيرة في الحفاظ على الألفاظ وبيان طرق نطقها ودلالاتها وأساليبها المختلفة. وتذكر الكتب اللغوية أن الهنود أول من وضعوا معجماً لغوياً وكان على شكل قوائم تضم الألفاظ الصعبة الموجودة في نصوصهم المقدسة، ثم تطور عملهم إذ شرحوا تلك الألفاظ وبينوها، وتوسع عملهم عندما أدخلوا الألفاظ غير المقدسة، وأقدم ما وصل منها معجم ظهر قبل القرن السادس الميلادي اسمه(امارستها) لمؤلفه(بوذى). وكذلك أهتم اليونانيون بلغتهم، فأنتجوا عدداً من المعاجم التي اهتمت بالألفاظ وبيان معانيها. وذكر (أتنيوس) خمسة وثلاثين مؤلفاً عدها معاجم، ولكن لا يوجد ما يؤكد ذلك؛ لأنها مفقودة. وأقدم المعاجم اليونانية معجم (يوليوس بولكس) ومعجم (هيلاديوس). وكان للصينيين أيضاً اهتمام بالصناعة المعجمية، فلديهم عدد من المعاجم التي حفظتها لهم العصور المتعاقبة، منها معجمان هما أساس معاجم الصين واليابان، أحدها اسمه (يوبيان) لمؤلفه (كويي وانج) والآخر اسمه (شوفان) لمؤلفه(هونشن)[1]

ولذلك يقول المستشرق فيشر :"إذا استثنينا الصين لا يوجد شعب آخر يحق له الفخار بوفرة كتب علوم لغته، وبشعوره المبكر بحاجته إلي تنسيق مفرداتها بحسب أصول وقواعد غير العرب" [2]

ولا أظن (فيشر) منصفاً في هذا الحكم. فمهما كان التراث اللغوي الصيني الذي اطلع عليه كثيراً ومتنوعاً، فيستحيل أن يساوي التراث اللغوي العربي كثرة وتنوعاً وتنظيماً. فكيف يتفوق عليه؟فالتراث اللغوي العربي الذي بدأ بالظهور منذ القرن الأول الهجري قد تزايد تزايداً عظيماً في القرن الثاني، واستمر ذلك التزايد في القرون اللاحقة، حتى أنه ليصعب حصر ما بقي منه بين أيدينا، فما بالك بالمفقود منه على مر العصور. فكم ذكرت كتب التراجم من كتب لمن ترجمت لهم، لم يصلنا منها إلا القليل. ومازال الدارسون والباحثون ينقبون عنها، ويقدمون لنا كل يوم مصنفاً من تلك المصنفات التي مازالت مطمورة تحت غبار الزمن.

ويهدف هذا البحث إلي الوقوف على البواكير الأولى للصناعة المعجمية العربية، ثم تتبع مراحل تطوراتها المختلفة، وما اتصفت به كل مرحلة، وأهم المعاجم التي ظهرت في كل مرحلة. ثم الوقوف على مدارس المعاجم العربية، و المناهج والطرق التي اشتملت عليها كل مدرسة .

وكل ذلك بعد بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظي المعجم والقاموس، ومعرفة الفرق بينهما، ولذلك فإن هذا البحث سيتكون من ثلاثة محاور هي :

المحور الأول : المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظي المعجم والقاموس والفرق بينهما.

المحور الثاني : الصناعة المعجمية العربية، نشأتها وتطورها.

المحور الثالث : مدارس المعاجم العربية.

أولاً : المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظي المعجم والقاموس، والفرق بينهما.

المعنى اللغوي المعجم :

ذكر ابن فارس للعين والجيم والميم ثلاثة معان أصلية، أولها يدل على السكوت والصمت .وثانيها يدل على صلابة وشدة .وثالثها يدل على عض و مذاقة[3].وإذا تتبعنا المعاني المختلفة التي تذكرها المعاجم اللغوية لهذا اللفظ فإنا نجدها تذكر أنه يدل على الصخور الصلبة القوية جاء في لسان العرب : "والعجمات صخور تنبت في الأودية قال أبو داود :

عذبٌ كماء المزن أنـ ـزله من العجمات بارد

يصف ريق جارية بالعذوبة. و العجمات : الصخور الصلاب، و عَجْمُ الذنب وعُجُمه جميعاً : عَجبه، وهو أصله، وهو العُصعُص، وزعم اللحياني أن ميمها بدل من الباء في عَجب وعُجب"[4] ومعروف أن عُجب الذنب هو أقوى عظمة في الإنسان وأصلبها...

ولذلك أرى أن المعنى الإصلي الأول لهذا اللفظ هو الصخور الصلاب، وأن المعاني التي ذكرها ابن فارس وما قد يتفرع منها هي معان متطورة من هذا المعنى. فالصخور القوية تدل على الصلابة والشدة، وعلى الصمت والسكوت، لأنها جامدة، هذا اللفظ قد استُعمل للدلالة على العضّ ونحوه على سبيل المجاز المرسل بعلاقة المسببية، إذ أطلق المسبب وهو أظهار صلابة الشيء وشدته (العجم) وأريد به السبب وهو العضُّ ونحوه. قال الحجاج في إحدى "خطبه : (إن أمير المؤمنين كب كنانته، ثم عجم عيدانها فوجدني أمرها عوداً وأصلبها عموداً فوجهني إليكم ..."[5] ولاشك أن العضَّ ونحوه للشيء الصلب القوي، قد يؤدي إلي إفساد قوته وتفتت صلابته، ففي حديث أم سلمة أنها قالت : "نهانا النبي صلى الله عليه وسلم أن نَعجُم النوى طبخاً[6] وهو أن نبالغ في طبخه ونضجه حتي يتفتت النوى، وتفسد قوته التي يصلح معها للغنم وقد استعملت بعض مشتقات هذا اللفظ للدلالة على الأشياء القوية الصلبة. (فالعجوم) كما تذكر المعاجم الناقة القوية الشديدة. و(العواجم) الأسنان[7] وهي قوية. وكل ذلك على سبيل الاستعارة، لما بين المستعار والمستعار له من علاقة المشابهة في القوة والشدة. وكذلك استعمل هذا اللفظ للدلالة على الحيوان عامة على سبيل الاستعارة أيضاً، لما بين الاستعمالين من علاقة المشابهة المتمثلة بعدم إظهار ما بداخلهما والإبانة عنه، ثم

توسع هذا الاستعمال للدلالة على الإنسان الذي لا يبين ما بداخله، ولايفصح عنه على سبيل الاستعارة أيضاً بعلاقة المشابهة، قال ابن جني: "ألا ترى أن تصريف (عجم) أين وقعت في كلامهم، إنما هو للإبهام وضد البيان. من ذلك العَجَم لأنهم لا يفصحون، وعجم الزبيب ونحوه لاستتاره في ذي العجم، ومنه عجمة الرمل لما استبهم منه على سالكيه، فلم يتوجه لهم، ومنه عجمت العود ونحوه إذا عضضته، لك فيه وجهان إن شئت قلت إنما ذلك لإدخالك إياه في فيك، وإخفائك له، وإن شئت قلت : إنما ذلك لأنك لما عضضته ضغطت بعض ظاهر أجزائه فغارت في العجوم فخفيت. ومن ذلك استعجمت الدار إذا لم تجب سائلها قال:

صم صداها وعنا رسمها واستعجمت عن منطق السائل

ومنه جرح العجماء جُبَار، لأن البهيمة لا تفصح عما في نفسها ...وهذا كله على ما تراه من الاستبهام وضد البيان، ثم إنهم قالوا : أعجمت الكتاب إذا بينته و أوضحته، فهو إذاً لسلب معنى الاستبهام لاإثباته"[8]. وهذا يؤكد أن هذا اللفظ قد أطلق على الحروف الهجائية المتشابهة قبل نقطها، لعدم اتضاح حقيقة كل حرف وماهيته. وبعد نقطها زيدت الهمزة على هذا اللفظ للدلالة على السلب، إذ يقال أعجمت الحرف أي أزلت عجمته فهو معجم .

وقد نقل ابن منظور آراء بعض العلماء في سبب تسمية الحروف الهجائية بحروف المعجم، إذ قال "وسئل أبو العباس عن حروف المعجم لما سميت معجماً ؟فقال : أمَّا أبو عمرو الشيباني فيقول أعجمت: أبهمت، وقال: والعجمي مُبهم الكلام لا يتبيَّن كلامه. قال : وأما الفراء فيقول هو من أعجمت الحروف، قال: ويقال قُفل معجم وأمر معجم إذا اعتاص ...وقال الليث : المعجم الحروف المقطعة سميت معجماً لأنها أعجمية، قال : وإذا قلت كتاب مُعجَّم فإن تعجيمه تنقيطه لكي تستبين عُجمته ... قال ابن الأثير: حروف المعجم حروف ا ب ت ث سميت بذلك من التعجيم وهو إزالة العجمة بالنقط"[9]

ثم أطلق هذا اللفظ على الكتاب الذي يشرح الألفاظ، ويوضح معانيها، ويزيل الغموض والإبهام عنها، على سبيل الاستعارة بعلاقة المتشابهة، أو على سبيل المجاز بعلاقة الحاليّة إذ أطلق الحالّ و أريد به المحل .

ويمكن أن يوضح التطور الدلالي لهذا اللفظ من خلال المخطط الآتي:-

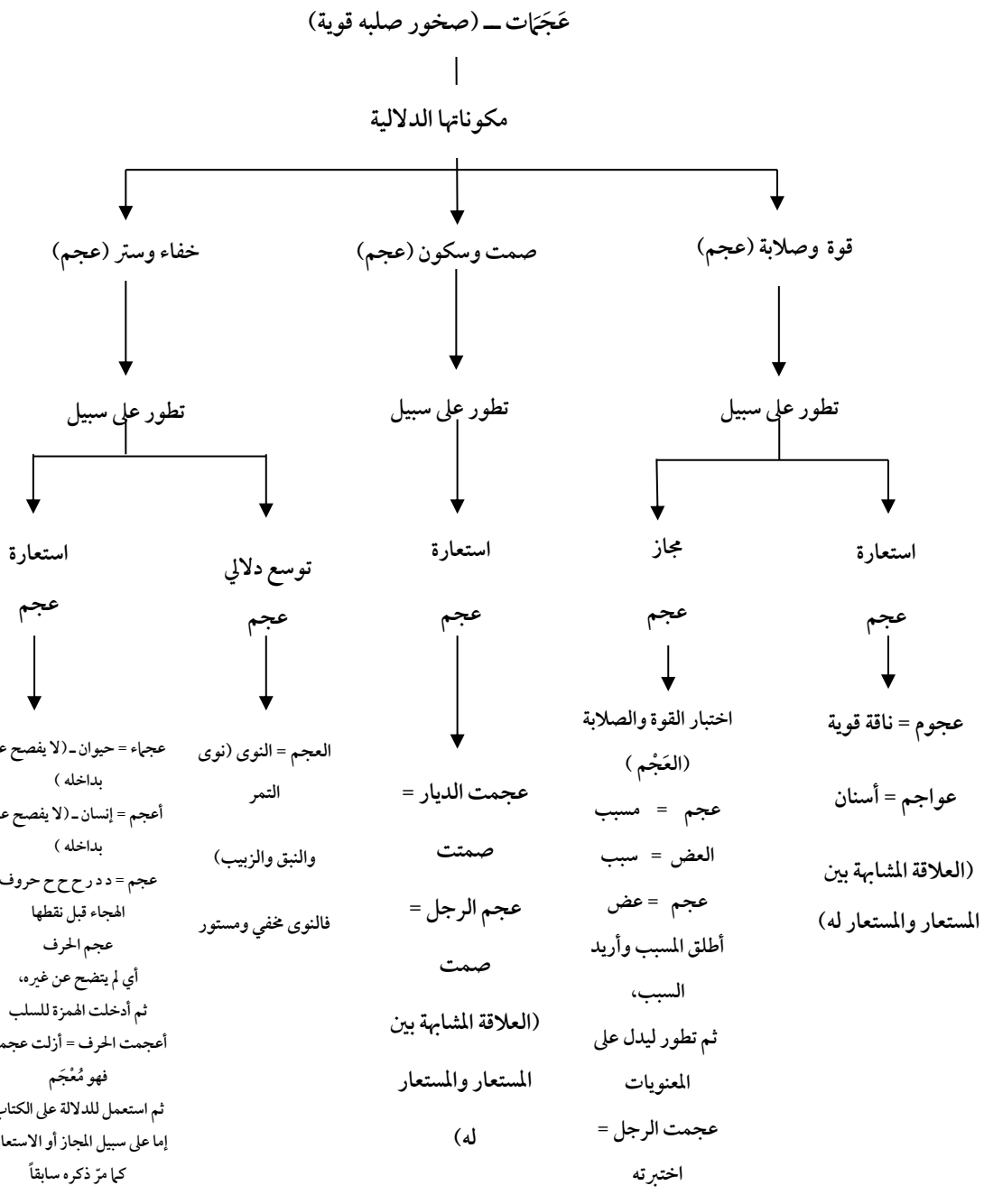

المعنى اللغوي لكلمة (القاموس) :

ذكر ابن فارس أن القاف و الميم والسين "أصل صحيح يدل على غمس شيء في الماء، والماء نفسه يسمى بذلك. من ذلك قمست الشيء في الماء : غمسته، ويقال إن قاموس البحر: معظمه"[10].

ويبدو أن ابن منظور كان أدق في توضيح معني القمس إذ بيَّن أن القمس، هو عملية انغماس الشيء في الماء ثم ظهوره، إذ قال "قمس، في الماء يقمسُ قُموساً : انغطَّ ثم ارتفع..."[11]

ولذلك سُمّي الغواص قامساً[12] .قال أبو ذؤيب [13]

كأن ابنة السهمي درة قامس لها بعد تقطيع النبوح وهيج.

وقيل إن القاموس : قعر البحر. وقيل وسطه، وقيل معظمه.

وقد استُعمل لفظ (القاموس) مرادفاً للفظ (المعجم). ويذكر اللغويون أن أول من استعمل كلمة القاموس هو الفيروز آبادي ت (817 هـ) حين أطلق على معجمه (القاموس المحيط)، وأراد به البحر المحيط. ولكن الفيروز آبادي لم يرد استبدال كلمة القاموس بكلمة المعجم، وإنما أطلق كلمة القاموس علماً على كتابه تشبيهاً له بالبحر الواسع العظيم، ولذلك يمكن تسميته بالمعجم فيقال معجم القاموس المحيط. وقد علل الدكتور حسين نصار حصول هذا الترادف بين اللفظين بالشهرة التي حازها القاموس المحيط بين الناس، فانتقل الاسم من العلمية الخاصة، إلي العلمية العامة[14].

علماً أن كل المعاجم اللغوية العربية لم يطلق عليها مؤلفاها كلمة معجم، بدءاً من الخليل الذي سمى كتابه (كتاب العين) وانتهاءً بالزبيدي الذي سمى كتابه ب(تاج العروس ...) وإنما الناس هم الذين سموا هذه الكتب بالمعاجم، إما لأنها رتبت الكلمات بناء على حروف المعجم، أو لأنها أعجمت – أي أزالت الغموض والإبهام الذي اكتنف الألفاظ.

ولذلك أجمع اللغويون على أن أول من أطلق هذا اللفظ على الكتب هم علماء الحديث فأول الكتب التي عرفت بهذا الاسم هو (معجم الصحابة) لأبي يعلى الموصلي ت (307هـ)، ثم (المعجم الصغير والمعجم الكبير) لأبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي ت (317 هـ)[15]

تعريف المعجم اصطلاحاً :

يعرف المعجم اصطلاحاً بأنه الكتاب الذي يشمل أكبر عدد من مفردات اللغة، يقوم بشرحها وتوضيح معانيها وكيفية نطقها، واشتقاقاتها، مبيناً ذلك بالشواهد المختلفة، وتكون تلك المفردات مرتبة ترتيباً خاصاً[16].

وأرى أن كلمة (المعجم)أكثر دلالة على هذا المفهوم، لما في هذه الكلمة – كما رأينا سابقاً – من دلالة على التوضيح والبيان وإزالة الغموض والإبهام. أما كلمة (القاموس) فتدل على السعة والعمق، ويمكن أن يوصف بها أي كتاب كما يوصف بها العلم عامة. كما قال عبد الرحمن الحنبلي ت (795هـ)عند ترجمته لابن الخشاب : "وكان سامحه الله قليل المبالاة بحفظ قاموس العلم والمشيخة"[17].

أنواع المعاجم اللغوية :

تنقسم المعاجم العربية إلي نوعين أساسين هما:

1. **معاجم الموضوعات:** وهي المعاجم التي اهتمت بالموضوعات والمعاني، ويعد كتاب (الغريب المصنف) لأبي عبيد ت (224هـ) رائد هذه المعاجم، فقد احتوى على أكثر من سبعة عشر ألف مادة لغوية مفسرة، توزعت على أكثر من ثلاثين باباً، تناول كل باب موضوعاً محدداً مثل (خلق الإنسان، النساء، اللباس، الطعام ...) ثم تتابعت المعاجم الموضوعية بعد ذلك، مثل (كتاب الألفاظ) لابن السكيت ت(244هـ) و(جواهر الألفاظ) لقدامة بن جعفر ت(337هـ) و(متخيرَّ الألفاظ) لابن فارس ت(395هـ) و(الألفاظ الكتابية) لبعد الرحمن الهمداني ت(327 هـ) و(فقه اللغة) للثعالبي ت (429هـ)، ويعد كتاب المخصص لابن سيده أكبر هذه المعاجم وأوسعها.[18]

2. **معاجم الألفاظ** : وهي المعاجم التي اهتمت بالألفاظ العربية ومعانيها، ورتبت المواد اللغوية ترتيباً صوتياً أو هجائياً، سواء بحسب الحرف الأول أو الأخير. وتنقسم هذه المعاجم على قسمين هما:

- معاجم عامة: وهي التي اهتمت بكل الألفاظ العربية العامة المشتركة، بما في ذلك الألفاظ التخصصية الشائعة.

- معاجم خاصة: وهي المعاجم التي اهتمت بنوع خاصّ من الألفاظ، أو بظاهرة من ظواهر الألفاظ كالاشتقاق، والترادف، و التضاد والمشترك، والمعربّ والدخيل، واللحن، والمصطلحات .. الخ وتزخر المكتبة العربية بكل هذه الأنواع من المعاجم. ويذكر اللغويون المحدثون أنواعاً أخرى من المعاجم التي ظهرت في العصر الحديث، مراعية إما أعمار مستخدميها فهناك معاجم للأطفال، و معاجم للصغار، ومعاجم للمراحل الدراسية، و معاجم للكبار، أو جنسية المستخدم، فهنالك معاجم لابن اللغة، ومعاجم للأجانب، أو حجم المعجم فهنالك معاجم كبيرة، ومعاجم متوسطة، ومعاجم صغيرة، أو عدد اللغات، فهنالك معاجم أحادية اللغة ومعاجم ثنائية، ومعاجم متعددة اللغات. أو شكل المعجم فهنالك معاجم ورقية، ومعاجم الكترونية [19]

وسينصب الحديث في المحورين الآتيين على المعاجم العربية، التي اهتمت بالألفاظ، ولاسيما المعاجم العامة، لمعرفة المراحل التي مرت بها، والمدارس التي اتبعتها في ترتيب المواد اللغوية.

ثانياً: الصناعة المعجمية العربية، نشأتها وتطورها

لم تهتم أمة من الأمم في العصور الماضية بلغتها كما اهتمت الأمة العربية، التي بدأ علماؤها منذ القرن الهجري الأول يولون اللغة اهتماماً كبيراً، لما أصبح لها من القداسة الإلهية، إذ أصبحت لغة آخر الكتب السماوية المنزلة إلي الأرض، وقد تزايد العلماء المهتمون بالدراسات اللغوية العربية في القرن الثاني الهجري وأخذوا يجوبون الصحراء العربية شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، لجمع اللغة الفصيحة من الأعراب الذين سلمت لسانهم من اللحن الذي بدأ يتفشي في لسان عرب الحواضر، لاختلاطهم بغير العرب.

وظل هذا التزايد مستمراً في القرون اللاحقة، حتى أن كثيراً من العلماء، قد أوقفوا حياتهم لخدمة اللغة العربية، فتركوا لنا إرثاً ضخماً، تضمنته كتبهم ورسائلهم، التي وصلت إلينا، وقد شمل ذلك الإرث كل علوم اللغة المختلفة، ولا أكون مغالياً إذا قلت جازماً إن كثيراً من النظريات اللغوية التي توصلت لها الدراسات اللسانية الغربية الحديثة، قد توصل إليها علماؤنا القدماء. فهي مبثوثة في كتبهم ورسائلهم التي بين أيدينا – ولا يتسع المجال في هذا البحث لذكرها – التي ألفوها بإخلاص وإتقان منقطعي النظير، لأن

الدوافع التي جعلتهم يسخرون حياتهم لخدمة اللغة من أجلّ الدوافع وأسماها وأهمها : الدافع الديني، والدافع القومي.

ويتضح من خلال التراث اللغوي الذي بين أيدينا، أن اهتمام العلماء الأول، قد انصب فيما يمكن أن نسميه بالبدايات الأولى للعمل المعجمي، وليس بعلم النحو كما يذهب إلى ذلك بعض الباحثين واللغويين[20]. فالأسئلة التي أثيرت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، كانت عن معاني بعض الكلمات[21]، وليس عن مواقعها الإعرابية. وأوفق من ذهب إلى أن بواكير العمل المعجمي يتمثل في إجابات عبد الله بن عباس ت (68هـ) على أسئلة نافع بن الأزرق[22]، لأنه قام بتفسير الكلمات التي سئل عنها تفسيراً لغوياً دقيقاً، مستشهداً على ذلك بماء جاء منها في كلام العرب[23].فضلاً عما نسب إليه من كتاب يسمى بـ(غريب القرآن)[24] وما عزي إليه من تفسير الكثير من الكلمات والآيات القرآنية، وقد جمعها الفيروز آبادي في كتاب بعنوان (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس)[25] .

وإذا كانت هذه الأعمال تعد من صميم العمل المعجمي، لأنها تعنى بشرح معاني الكلمات، ودعم تلك المعاني بالشواهد التي توضحها، فأنها تعد بدايات أولية للعمل المعجمي، ولا تعد عملاً معجمياً، لأن مفهوم المعجم لا ينطبق عليها، إذ يشترط اللغويون في المعجم أن يضم أكبر عدد ممكن من مفردات اللغة، مقرونة بشرحها وبيان معانيها المختلفة، وإيضاح تلك المعاني بالشواهد.وأن ترتب ترتيباً خاصاً.[26]

ولذلك يعد كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي تـ(175هـ) أول معجم عربي لانطباق الشروط السابقة عليه، ولا خلاف بين اللغويين القدماء والمحدثين في ذلك [27] .

وعمل الخليل هذا يظهر أهمية المعجم اللغوي، فقد أثره وقدمه على كل علوم اللغة الأخرى، التي أتقنها، وكان رائد عصره فيها كعلم النحو، الذي لا يجدي ولا يفيد إذا ضاعت المفردات، أو جُهلت معانيها، أو امّحت أوزانها، لذلك قدم الأهم تاركاً لتلامذته، الذين ملؤوا كتبهم النحوية والصرفية بأقواله وآرائه وتعليلاته، وعلى رأسهم سيبويه.

وقد تمكن الخليل بعقله الرياضي الفذ من حصر مفردات اللغة العربية، التي يمكن أن تحصل من التسعة والعشرين حرفاً التي هي أصوات العربية الأساسية. وذلك عن طريق نظام التقليبات، الذي ابتكره

لهذا الهدف. وقد بدأ كتابه بدراسة غير مسبوقة للأصوات العربية، بيَّن مخارجها، وصفاتها، وقوانين ائتلافها[28]، إدراكاً منه لأهميتها، كونها اللبنات الأولى للألفاظ أولاً – وهذا ما تؤكد عليه اللسانيات الحديثة – ولتكون معياراً يميز الكلمات العربية عن سواها (المعربّة) ثانياً، ومدخلاً لعمله المعجمي الذي سيرتب مواده وفقاً لمخارجها ثالثاً، فقد رتب الخليل الحروف العربية بناءً على مخارجها، وقسم كتابه إلى كتب،يختص كل كتاب منها بحرف ورتب تلك الكتب على وفق ترتيبه للحروف، وقسم كل كتاب إلى ستة فصول، تبعاً لأبنية الكلمات.[29]

ومن الملاحظ أن العمل المعجمي، قد توقف بعد كتاب العين ما يقارب مئة وخمسين عاماً، حتى ظهر معجم (جمهرة اللغة) لابن دريد الأزدي تـ(321هـ).وهذا لا يعنى أن علماء العربية في نهاية القرن الثاني، وفي نهاية القرن الثالث الهجريين، قد أهملوا الاهتمام بجمع كلمات العربية وشرحها وتوضيحها، فالأمر عكس ذلك، فقد ظهرت في هذه المدة كتبٌ قيمة أصبحت فيما بعد مصدراً مهماً من مصادر المعجمات التي ظهرت في القرن الرابع الهجري وما بعده.[30] وأهمها كتب النوادر مثل نوادر أبي زيد الأنصاري تـ(215هـ).ونوادر أبي مسحل الأعربي تـ(أوائل القرن الثالث الهجري).وقد عد الدكتور حسين نصار كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني تـ (206هـ)من كتب النوادر لعدم اختلافه عنها في المضمون[31] .بيد أن بعض اللغويين المحدثين يعدونه معجماً لالتزامه بالترتيب الهجائي.[32]

ومن تلك الكتب ما عرف باسم كتب الأضداد وأهمها الأضداد لابن السكيت تـ(244هـ)فضلاً عن كتبه الأخرى التي اهتمت بجمع الألفاظ وشرحها وإصلاحها. وأيضاً كتب عن معاني القرآن الكريم، وكتب الغريب التي كان من أهمها الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام تـ(224هـ)[33]. ومن الكتب المهمة في هذه المرحلة أيضاً كتاب التقفية للبند نيجي تـ (284هـ)الذي يعد أول من اعتمد على الحرف الأخير من الكلمة عند ترتيب الكلمات في المعاجم.[34] وكذلك كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية، لأبي حاتم الرازي تـ (322هـ)، وقلما يشار إلى هذا الكتاب من المهتمين بالمعاجم العربية، على الرغم من أنه يشكل ظاهرة ينبغي الوقوف عليها، فقد اهتم مؤلفه بالتطور الدلالي للألفاظ العربية، بعد ذكره لمعانيها

الأصلية، ودعم أقواله بالشواهد، وإيضاح تلك المعاني من خلال إيراد السياقات المختلفة التي تبين المعاني المختلفة لكل لفظ[35] حتى أن بعض الدارسين عده من الكتب اللغوية التأصلية الخاصة[36] .

ومجمل القول إن كل الكتب اللغوية، التي ألفت في هذه المرحلة، قد شكلت ثروة لغوية عظيمة، وأصبحت في متناول مؤلفي المعاجم في القرن الرابع الهجري، وما بعده. فكم كان حرياً بهم إن يخرجوا لنا معاجم مبتكرة منهجاً ومضموناً،تتناول الألفاظ ومعانيها بصورة منطقية، ترصد المعاني الأصلية لها، ثم تتبع معانيها المتطورة مبينة نوع ذلك التطور وزمانه، وتدعم كل ذلك بالشواهد والأمثلة المختلفة، وتتبع طريقة سهلة في ترتيب المواد اللغوية، ليسهل الرجوع إليها.

وهذا لا يعني أن التأليف المعجمي لم يتطور في القرن الرابع الهجري وما تلاه من قرون.فالتطور موجودٌ، ولكنه تطور محدود جداً، لا يوازي ما توفّر لعلماء هذه القرون من جهود الضرب في الصحراء لجمع اللغة وتدوينها، ثم إن كثيراً من ذلك التطور كان شكلياً إذا استثنينا محاولة ابن فارس لتطوير المضمون في معجمه مقاييس اللغة[37].

فأول المعاجم التي ظهرت بعد هذه المدة(جمهرة اللغة) لابن دريد تـ(321هـ)، وقد سماه بهذا الاسم لأنه سجل فيه الجمهور من كلام العرب، وأغفل الوحشي والمستنكر[38].

والتجديد الوحيد البارز في هذا المعجم، هو ترتيب الكلمات وفق النظام الألفبائي ـ لعله تأثر في ذلك بكتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني ـ لكنه التزام بنظام التقاليب الذي ابتكره الخليل، وطوع هذا النظام ليكون على الطريقة الألفبائية، لا على المخارج كما هو الحال عند الخليل[39] ثم جاء بعد هذين المعجمين معجم آخر خرج عن طريقة التقليبات الخليلية في ترتيب المواد اللغوية، وهو (ديوان الأدب)للفارابي تـ(350هـ)، فقد جاء بمنهج متميز وأسلوب مغاير لما ألفه غيره من المعجمين، فقد قسم كتابه إلى ستة كتب هي:

1. كتاب السالم.
2. كتاب المضاعف.
3. كتاب المثال.
4. كتاب ذو الثلاثة.
5. كتاب ذوات الأربعة.
6. كتاب الهمزة.

ثم قسم كل كتاب من هذه الكتب على قسمين الأول للأسماء، والثاني للأفعال. وقد التزم بالترتيب الألفبائي للمواد في كل قسم جاعلاً الحرف الأخير من المادة اللغوية باباً، والحرف الأول فصلاً، وحرف الوسط جعله أساساً لترتيب مواد الفصل وهذه الطريقة في ترتيب المواد اتبعها ابن أخته (الجوهري) في كتابه تاج اللغة وصحاح العربية[40].

ثم عاد التأثر مرة أخرى بمنهج الخليل وقد ظهر ذلك في معجم (البارع) لأبي على القالي تـ(356هـ)حتى أن محقق هذا الكتاب قال عنه(إن البارع ما هو إلا كتاب العين)[41].وكذلك (تهذيب اللغة)للأزهري تـ(370هـ)فهو لا يختلف عن العين إلا في بعض الأشياء القليلة المتعلقة بالأبنية، فضلاً عن النقل عن علماء اللغة والتوسع في الروايات[42].وأتى بعد ذلك معجم (المحيط في اللغة) للصاحب بن عباد تـ(385هـ)وقد اتبع فيه نهج الخليل في التقليبات، ونهج الأزهري في تقسيم الأبواب[43].

ويمكن القول إن ابن فارس هو أول من جدد في التأليف المعجمي شكلاً ومضموناً في معجمه مقاييس اللغة، إذ صرح في معجمه انه يسعى إلى إبانة المعنى الأصلي، أو المعاني الأصلية للكلمة، ثم ما يتفرع عن ذلك من معان أخرى،يمكن تسميتها بالمعاني المجازية[44]، هذا من ناحية المضمون. أما من ناحية الشكل فقد اتبع نهجاً جديداً في ترتيب المفردات داخل المعجم[45]يمكن تسميته بالنظام الألفبائي التسلسلي الدائري. ومهما تكن المآخذ التي أخذت على هذا المعجم إلا إنه بحق يعد ـ من وجهة نظر الباحث أفضل المعاجم العربية، لاهتمامه بالمعاني الأصلية للكلمات وتطوراتها الدلالية.أما كتابه الثاني(مجمل اللغة) فقد اهتم فيه بالواضح والصحيح من كلام العرب، وأهمل الوحشي والمستنكر[46] .

ويأتي معجم (تاج اللغة وصحاح العربية)للجوهري تـ(398هـ)آخر المعجمات التي ألفت في القرن الرابع الهجري، وقد ذاع صيته، وأصبح مرجعاً مهماً من مراجع العربية، ويعزى ذلك إلى اهتمامه بالفصيح من كلام العرب، واهتمامه بضبط الألفاظ ضبطاً محكماً، فضلاً عن سهولة استخراج الكلمات منه، نظراً لاعتماده على الترتيب الهجائي الألفبائي القافوي. وقد حظي هذا المعجم بعدد من الدراسات، والاختصارات والشروح، والاستدراكات وعده كثير من الباحثين من أهم المعاجم العربية[47] .

ويبدو أن التأليف المعجمي قد قل منذ القرن الخامس الهجري، فإذا كان القرن الرابع الهجري وحده قد أخرج لنا سبعة معاجم مشهورة، فلم تؤلَّف في تسعة القرون التي تلته سوى ثمانية معاجم اشتهرت منها ستة فقط.

ففي القرن الخامس ألف ابن سيده تـ(458هـ)معجمين هما(المحكم والمحيط الأعظم) و(المخصص).والأول اتبع فيه مؤلفه نهج الخليل في التقليبات، ولكنه اختلف عنه في المادة العلمية، إذ اهتم بالقضايا النحوية، والصرفية مشيراً إلى ما شاع فيها من أخطاء، وكذلك اهتم بالقراءات القرآنية، مع جنوحه إلى الإيجاز والاختصار والابتعاد عن التكرار[48].أما المخصص فيعد من معاجم الموضوعات، وهو من أضخم هذا النوع من المعاجم، فقد رتبه ترتيباً موضوعياً، فجعل كل موضوع في كتاب، وقد جاء الكتاب الأول (خلق الإنسان) ثم جاء (كتاب الغرائز) و(كتاب النساء)...وهكذا .وقد جعل آخر الكتب فيه لأبواب مختلفة[49].

وفي القرن السادس الهجري ألف الزمخشري تـ(538هـ)معجمه أساس البلاغة، وقد امتاز هذا المعجم بذكر المعاني المجازية للألفاظ ـ نصاً ـ بعد ذكر معانيها الحقيقية، فضلاً عن سهولة ترتيب المواد اللغوية فيه[50].

وفي القرن السابع الهجري ألف الصغاني تـ(650هـ)معجمين هما(العباب)و(مجمع البحرين) الذي جمع فيه مؤلفه بين ما استدركه على الصحاح للجوهري في كتبه (التكملة،والذيل، والصلة)وبين الصحاح للجوهري.وهدف من ذلك إلى الجمع اللغوي، والعناية بالشواهد. وقد تحقق له الجمع من خلال ما أفاده من المعاجم والرسائل التي ألفت قبله،وأما الشواهد فأفاده ما اطلع عليه من الدواوين والمجاميع الشعرية.وأما (العباب)فقد ألفه كما قيل في آخر حياته، ووافته المنية قبل أن يتمه[51] .

وفي القرن الثامن الهجري ظهر معجم (لسان العرب)لابن منظور تـ(711هـ)، الذي أفاد من كثير من المعجمات والكتب التي ألفت قبله، فجاء معجمه موسوعة لغوية،لإيراده كثيراً من لغات القبائل، والنوادر والأمثال، والتوسع في إيراد المعاني المختلفة للمادة الواحدة،وإيراد الكثير من الشواهد،واعتنى بضبط الألفاظ، كل ذلك جعله ينال شهرة واسعة[52] .

وفي القرن التاسع الهجري ظهر (القاموس المحيط)للفيروز آبادي تـ(817هـ)، وقد نال شهرة واسعة نظراً لاستقصائه للمفردات التي وصلت إلى ستين ألف مادة، فضلاً عن اهتمامه بالضبط للمفردات ومشتقاتها، باللفظ والوزن[53]. وإذا كانت القرون (العاشر، والحادي عشر، والثاني عشر)الهجرية، قد خلت من المعاجم اللغوية، فإن القرن الثالث عشر الهجري قد أهل بمعجم ضخم، وصلت مواده اللغوية إلى مئة وعشرين ألف مادة لغوية، وهو معجم (تاج العروس) للزبيدي تـ(1205هـ)فقد استدرك جملة كبيرة من المفردات والصيغ والأبنية التي أهملها الجوهري في الصحاح، والفيروز آبادي في القاموس المحيط. وقد استفاد من المعجمات والكتب والرسائل اللغوية التي ألفت قبله[54].

هذه هي أشهر المعاجم القديمة المعروفة، التي كانت أساساً ومصدراً مهماً من مصادر المعاجم الحديثة، وينبغي أن تظل كذلك لأي معجم يؤلف مستقبلاً، من حيث تأصيل المواد اللغوية وشروحها، لا من حيث المنهج والشكل.

ثالثاً: مدارس المعاجم العربية:

اختلف اللغويون المهتمون بدراسة المعاجم العربية في تحديد عدد المدارس المعجمية، وتباينت آراؤهم في تسمية رواد بعض المدارس.فقد جعلها عبد الله العلايلي ثلاث مدارس هي :

1. مدرسة الخليل في العين.
2. مدرسة ابن فارس في معجمه(مقاييس اللغة).
3. مدرسة الجوهري في (الصحاح)[55].

وذهب أحمد عبد الغفور عطار إلى حصر المعاجم العربية في مدرستين،هما:

1. مدرسة المعاني.
2. مدرسة الألفاظ.

وقسم مدرسة الألفاظ على ثلاث مدارس هي :

1. مدرسة الخليل في العين.
2. مدرسة الجوهري في الصحاح.

3. مدرسة البرمكي تـ(397هـ)في ترتيب الصحاح،حيث رتب البرمكي مواد الصحاح ترتيباً هجائياً مبتدئاً بالهمزة، ومنتهياً بالياء، مع مراعاة الحرف الثاني والثالث والرابع في كل مادة[56].

أما الدكتور حسين نصار فقد قسمها على أربع مدارس هي:

1. مدرسة العين للخليل.
2. مدرسة الجمهرة لابن دريد.
3. مدرسة الصحاح للجوهري.
4. مدرسة أساس البلاغة للزمخشري[57].

وقسمتها الباحثة نوريه العاني إلى أربع مدارس هي:

1. مدرسة التقليبات الصوتية وعلى رأسها الخليل في العين.
2. مدرسة التقليبات الهجائية وعلى رأسها ابن دريد في جمهرة اللغة.
3. مدرسة القافية (الباب والفصل) وعزتها للجوهري في الصحاح.
4. مدرسة الأبجدية العادية،وعلى رأسها الزمخشري في أساس البلاغة[58].

وقد انتقد أحد الباحثين تسمية الباحثة للمدرسة الرابعة بالأبجدية العادية، لأنه ـ كما يقول ـ لا توجد أبجدية عادية وأخرى غير عادية، ولأن هذه المدرسة اتبعت الترتيب الهجائي (أ ب ت ث ...)[59].وكان الأجدر بهذا الباحث أن يصحح اسم هذه المدرسة بالألفبائي المتسلسل.

أما الدكتور حاتم الضامن فقد جعلها خمس مدارس هي :

1. مدرسة العين للخليل.
2. مدرسة الجمهرة لابن دريد.
3. مدرسة الصحاح للجوهري.
4. مدرسة أساس البلاغة للزمخشري[60].
5. مدرسة المقاييس لابن فارس.

أما الشيخ محمد حسين آل ياسين، فقد أوصلها إلى ست مدارس هي:

1. مدرسة الخليل في العين.
2. مدرسة أبي عمرو الشيباني في الجيم.
3. مدرسة ابن دريد في الجمهرة.
4. مدرسة ابن فارس في المقاييس.
5. مدرسة الجوهري في الصحاح.
6. مدرسة الزمخشري في أساس البلاغة[61].

أما الدكتور عبد الكريم مدلج فقد استحسن تقسيم الدكتورين سامي مكي العني وعبد الوهاب العدواني اللذين جعلا مدارس المعجمات العربية ثلاثاً هي:

1. مدرسة تقليب الحروف، ورائدها الخليل في العين.
2. مدرسة الحرفين الأول و الأخير، ورائدها الجوهري في الصحاح.
3. مدرسة الحرفين الأول والثاني، ورائدها الزمخشري في أساس البلاغة[62].

إذ قال بعد أن ذكر هذا التقسيم((ونلحظ في هذا التقسيم الدقة والموضوعية فإليه نميل، وبه نأخذ))[63].

وفي موطن لاحق من البحث نسب هذا التقسيم إليه إذ قال "بعد أن بينا آراء الباحثين وتقسيماتهم لمدارس المعجم، نود أن نوضح رأينا في عدد هذه المدارس، ومناهجها، والأصول التي اتبعتها في ترتيب موادها، ويبدو لنا أن مدارس المعجم ثلاث"[64]. وبدأ بعد ذلك بشرح التقسيم السابق وكان عليه أن يقول :نود نوضح الرأي الأصح، أو الرأي الذي ارتضيناه.

فضلاً عن أن هذا التقسيم ليس دقيقاً، و لا موضوعياً.

والحقيقة أن هذا الاختلاف الحاصل في عدد مدارس المعاجم العربية، ناتج عن نوع التقسيم الذي اتبعه كل باحث في تقسيمه.فمن جعلها ثلاث مدارس قسمها تقسيماً عاماً، ومن زاد على ذلك فقد حاول التفصيل، وكلما كانت الزيادة أكثر كان التفصيل أكثر.

وأرى أن المعاجم العربية قد تقاسمتها مدرستان عامتان هما :

1. مدرسة التقليبات.
2. مدرسة الحروف الهجائية.

ثم ظهرت مناهج مختلفة لكل مدرسة، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: مدرسة التقليبات، وقد اشتملت على منهجين، هما:

1. التقليبات الصوتية المخرجية:

التي ابتكرها الخليل، في أول المعاجم العربية ظهوراً (العين)، وقد اعتمد الخليل في ترتيب الكلمات في كتابه على الأسس الآتية:

- المخرج، إذ إنه رتب الحروف بناء على مخارجها على النحو الآتي(ع ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م ا و ي)[65].
- الأبنية التي جعلها أبواباً لكل كتاب، إذ انه قسم كل كتاب إلى ستة أبواب، بناء على تلك الأبنية
- التقاليب التي جعلها فصولاً للأبواب السابقة، ويقصد تغيير مواقع الحروف الأصلية للكلمة، فينتج من الثلاثي المضاعف تقليبان مثل،(عق) و(قع) ومن الثلاثي الصحيح ست هيئات مثل،(علب، عبل، لعب، لبع، بلع، بعل) ومن الرباعي أربع وعشرون هيئة .ومن الخماسي مئة وعشرون هيئة. وقد شرح الخليل المستعمل من هذه التقاليب، وأشار إلى المهمل في بابي الثنائي والثلاثي، ولم يشر له في بابي الرباعي والخماسي، لكثرته[66].

أما استخراج كلمة من العين فيتم عن طريق ترتيب حروفها بناء على مخارجها عند الخليل، مثلاً كلمة (صنع) تكون (عصن) وفي تقليباتها الستة نجد مادة (صنع) و لا تتكرر هذه المادة في كتاب الصاد، أو

النون. وأهم المعاجم التي اتبعت منهج العين هي: البارع، لأبي على القالي، وتهذيب اللغة، للأزهري والمحيط، للصاحب بن عباد، والمحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده[67].

2. التقليبات الصوتية الألفبائية :

ورائد هذه المدرسة ابن دريد في معجمه جمهرة اللغة، فقد عمل على تيسير الصعوبة التي اتسمت بها منهجية العين، فعدل عن ترتيب الحروف بناء على مخارجها، إلى الترتيب الألفبائي الشائع، فكان ذلك أهم خطوة للتيسير، ولكنه ظل متأثراً بمنهجية العين فيما يخص الأبنية والتقاليب، ولكنه ختم كل واحد من هذه الأبنية بأبواب ألحقها دون مبرر، في كثير من الأحيان، مما أدي إلى كثير من الاضطراب، وقد وصلت الأبواب عنده إلى ثمانية أبواب، رتب الأبواب الخمسة الأولى على الألفباء، وأهمل ترتيب بقية الأبواب، وجمع التقاليب معاً في الموضع المناسب لأول واحد منها في أربعة الأبواب الأولى، ولم يلتزم بذلك في الرباعي، فجمعها أحياناً، وفرقها أحياناً أخرى .أما في الخماسي فلم يجمعها مطلقاً.ولم يتبع نظاماً معيناً في إيراد التقاليب في الموضع الواحد، فبدأ أحياناً بالتقاليب المفتتحة بالحرف المعقود له الباب، ولم يفعل ذلك أحياناً أخرى[68].

وتبعاً لهذا الاختلاف في منهج الجمهرة عن العين تغيرت مواضع المواد اللغوية المفسرة في كلّ من الكتابين ففي حين نجد مادة(سجع) في باب (عجس) من العين، نجدها في باب (جسع) من الجمهرة[69].

ويبدو أن هذه المنهجية اقتصرت على ابن دريد، رائدها، إذ لم نجد من نهجها من مؤلفي المعاجم الذين جاؤوا بعده.

ثانياً: المدرسة الهجائية الألفبائية:

وهي المدرسة التي اعتمدت على الحروف الهجائية الألفبائية، ملغية فكرة التقاليب، والمخارج. ويمكن أن تقسم هذه المدرسة على قسمين هما:

1. المنهج الألفبائي الأولي:

وهذا المنهج اعتمد على الحرف الأول للكلمة، وقد تطور هذا المنهج تطوراً ملحوظاً، إذ نتجت عنه ثلاث طرائق هي:

الطريقة الأولى: الألفبائية الأولية الصدرية، وهذه الطريقة تعتمد على الحرف الأول ـ فقط ـ للكلمة. وأول من ابتكر هذه الطريقة أبو عمرو الشيباني تـ(207هـ)في معجمه (الجيم)، فقد التزم بالحرف الأول للمادة اللغوية، دون النظر إلى عين الكلمة أو لامها، ويلاحظ ذلك في باب الألف عنده. فالكلمة الأولى هي(أوف) ثم (المأفول) على الرغم من التزامه بالجذر اللغوي للمادة[70].

الطريقة الثانية: الألفبائية الأولية التسلسلية الدائرية، وهي الطريقة التي اتبعها ابن فارس في معجمه (مقاييس اللغة) إذ التزم بالحرف الأول للكلمة، ثم الذي يليه،إلى أن يصل إلى آخر حروف الهجاء، ثم يعود إلى الحرف الأول .فمثلاً كتاب السين يبدؤه بمادة(سعّ) ثم (سفّ) إلى أن يصل إلى آخر حروف الهجاء، ثم يعود إلى (سبّ)ثم (ستّ) إلى أن يصل إلى(سرّ)، ثم يدخل في باب الثلاثي فيبدأ بـ(سطح)ثم(سطل) إلى أن يصل إلى (سطا)ثم يعود الى (سطح).[71] وهكذا.

ويخفف من صعوبة البحث في كتابه تقسيمه كل كتاب إلى ثلاثة أبواب هي:باب الثنائي، ثم باب الثلاثي الأصول، ثم ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف أصول.

الطريقة الثالثة: الألفبائية الأولية التسلسلية، وهذه الطريقة تعتمد على الترتيب التسلسلي للحروف الهجائية، إذ ترتب المواد بناء على الحرف الأول،فالثاني، فالثالث، ورائد هذه الطريقة الزمخشري في معجمه أساس البلاغة. الذي قسمه على ثمانية وعشرين باباً،لكل حرف باب، ثم رتب مواد كل باب مراعياً الحرف الثاني والثالث، فمثلاً كتاب الحاء (حبأ،حبب،حبر،حبس،حبش) .[72] وهكذا.

وأرى أن هذه الطريقة هي أسهل الطرائق وأجداها في ترتيب المعاجم العربية.

2. المنهج الألفبائي القافوي:

وهذا المنهج يعتمد على الحرف الأخير من الكلمة . وأول ما ظهر هذا المنهج كان على يد البندنيجي تـ(284هـ)في كتابه (التقفية) إذ اتبع فيه منهجاً خاصاً يمكن عده الطريقة الأولى لهذا المنهج، فقد التزم البندنيجي بحرف القافية لكل كلمة يفسرها، ولكنه لم يعتمد على الجذر اللغوي، بل على وزن الكلمة العروضي وليس الصرفي وهذا ما أشار إليه في مقدمته إذ قال" إنما ألفناه على وزن الأفاعيل، فلينظر الناظر المرتاد وزن الكلمة في أي الأبواب هو فإنه يدرك الذي يطلب"[73].

وقد جعل أول الأبواب للألف الممدودة، وأورد فيه(الإباء، والخباء، والسباء، والهباء، والحرباء، والعلباء، والحصباء ...)[74].وهكذا.

أما الطريقة الثانية لهذا المنهج فقد جاءت أكثر دقة، وأول مبتكر لها هو الفارابي تـ(350هـ) في ديوان الأدب، إذ إنه طور الطريقة الأولى ـ طريقة البندنيجي ـ إذ اعتمد على الجذر اللغوي للكلمة جاعلاً الحرف الأخير منه باباً، والحرف الأول منه فصلاً، وجعل حرف الوسط أساساً لترتيب مواد الفصل.وقد رتب المواد مبتدئاً من الباء، ثم التاء،ثم الثاء...وهكذا حتى الياء، وقد التزم بهذا الترتيب في كتبه الستة التي قسم عليها كتابه، وهي(كتاب السالم، كتاب المضاعف، كتاب المثال، كتاب ذوات الثلاثة(الأجوف)، كتاب ذوات الأربعة(الناقص)، (كتاب الهمز)ثم قسم كل كتاب من هذه الكتب إلى قسمين قسم للأسماء، وقسم للأفعال.[75]

وقد ذهب المستشرق (كرنكو) إلى القول إن الجوهري قد سرق بطريقة خاله الفارابي، وتسلط على مواد كتابه[76].وأرى أن يهذب قول (كرنكو) إلى أن الجوهري قد تأثر بطريقة خاله الفارابي، لاسيما وأنه قد زعم أنه قرأه عليه[77].و لا أرى مبرراً لإنكار بعض اللغويين تأثر الجوهري بالفارابي وجزمهم بأن طريقة الجوهري في الصحاح كانت متأثرة بطريقة أبي عمرو الشيباني في (الجيم) والبندنيجي في التقفية[78]، لأن ذلك لا يقلل من قيمة (الصحاح) الذي يختلف عن (ديوان الأدب) في المضمون وعدد المواد اللغوية، والشواهد والأمثلة.

وغير ذلك فهو يعد معجماً عاماً نال شهرة واسعة، وحاز الإعجاب التام من العلماء. فأداروا حوله دراسات متعددة.

ونظراً لشهرته من هذا الجانب اشتهرت طريقته، وعزيت إليه هذه الطريقة، على الرغم من أن مبتكرها هو الفارابي .

وقد اتبعت هذه الطريقة كثير من المعاجم العربية أهمها(العباب) للصغاني، و(لسان العرب)لابن منظور، و(القاموس المحيط) للفيروز آبادي، و(تاج العروس) للزبيدي.

وأرى أن أسهل هذه الطرق هي الطريقة الألفبائية التسلسلية، التي سلكها الزمخشري في أساس البلاغة. والدليل على ذلك، أن بعض الناشرين للمعاجم العربية، يقومون باتباع هذه الطريقة. مغيرين طرائق مؤلفيها، فقد صدرت طبعة جديدة لكتاب العين تحت عنوان (ترتيب كتاب العين)[79].رتبت فيه المواد وفقاً لهذه الطريقة، وكذلك صدرت طبعة جديدة من (لسان العرب) رتبته على هذه الطريقة[80].

نتائج البحث :

بعد العرض السابق لموضوع البحث يمكن تدوين النتائج الآتية :

1. إن الجذر اللغوي (عجم)، الدال على الصخور الصلبة، التى تدل على الصمت، وعلى الخفاء؛ لأنها تخفي ما بداخلها فلا يظهر هو الأصل اللغوي للفظ (المعجم) الذي هو اسم مفعول من ذلك الأصل المزيد بهمزة السلب التى سلبت عن الأصل الخفاء والإبهام، ثم استعمل هذا اللفظ (المعجم) للدلالة على الكتاب الذي يشرح الألفاظ، ويذكر معانيها؛ فيزول الغموض عنها.
2. إن الجذر اللغوي (قمس) الدال على عدة معانٍ تتعلق بالماء، منها قعر البحر وقيل وسطه، وقيل معظمه، هو الأصل اللغوي للفظ (القاموس) الذي هو صيغة مبالغة من ذلك الأصل، وقد استعمل هذا اللفظ للدلالة على الفخامة والسعة، وأول من استعمله في هذه الدلالة هو الفيروزآبادي، إذ أطلقه على معجمه (القاموس المحيط) .

   ولذلك يعد لفظ المعجم أكثر دلالة على مفهومه، عن إطلاقه على الكتب التى تشرح الألفاظ وتزيل الغموض والإبهام منها. علماً أن مؤلفي هذه الكتب لم يطلقوا على مؤلفاتهم اسم المعاجم، وإنما أطلقها عليها الناس .
3. كان اهتمام العلماء العرب بالصناعة المعجمية مبكراً، فقد ظهرت المعجمات والكتب التي تتناول معاني الألفاظ قبل العلوم اللغوية الأخرى، كالنحو والصرف والبلاغة .
4. توقف التاليف المعجمي بعد أول معجم ألف ـ كتاب العين للخليل ـ لمدة مائة وخمسين عاماً، واقتصر اهتمام علماء اللغة في هذه المدة على تأليف كتب النوادر، والغريب، والأضداد، وغيرها. وكان أول معجم ظهر بعد هذه المدة هو (جمهرة اللغة) لابن دريد ت(321هـ) .

5. يعد القرن الرابع الهجري العصر الذهبي للصناعة المعجمية العربية، إذ ظهرت فيه سبعة معاجم مشهورة. في حين لم تؤلف في تسعة القرون التى تلته سوى ثمانية معاجم فقط، ولم يشتهر منها سوى ستة معاجم .

6. اختلف الباحثون المحدثون في عدد مدارس المعاجم العربية، فمنهم من جعلها ثلاثاً وبعضهم جعلها أربعاً وبعض آخر جعلها خمساً وهناك من أوصلها إلى ست مدارس. وقد رأى الباحث أن تجعل في مدرستين عامتين هما:

أ. مدرسة التقليبات: وقد سارت هذه المدرسة على منهجين هما :

- منهج التقليبات الصوتية المخرجية: ويمثلها الخليل في كتاب العين، ومن حذا حذوه.
- منهج التقليبات الصوتية الألفبائية: ويمثلها ابن دريد في معجمه (جمهرة اللغة) .

ب. مدرسة الهجاء الألفبائي: ولها منهجان عامان هما : المنهج الألفبائي الأولي، وقد جاء هذا المنهج بثلاث طرائق هي :

-الطريقة الأولى: الطريقة الألفبائية الأولية الصدرية: وهي تعتمد على الحرف الأول فقط ويمثلها معجم (الجيم) لأبي عمر الشيباني .

-الطريقة الثانية: وهي الطريقة الألفبائية الأولية التسلسلية الدائرية ويمثلها معجم (مقايسس اللغة) لابن فارس.

-الطريقة الثالثة: وهي الألفبائية الأولية التسلسلية ويمثلها معجم (أساس البلاغه) للزمخشري.

أما المنهج الثاني لهذه المدرسة: فهو المنهج الألفبائي القافوي. وقد جاء هذا المنهج على طريقتين هما :

- الألفبائية القافوية العروضية، التى تعتمد على الوزن العروضي للكلمة، وليس الجذر اللغوي لها. وكان مبتكر هذه الطريقة هو البندنيجي في كتابة التقفية .
- أما الطريقة الثانية: فهي الألفبائية القافوية الجذرية، التى تجعل الحرف الأخير للجذر اللغوي باباً، والحرف الأول منه فصلاً، وتجعل حرف الوسط الأساس في ترتيب مواد الفصل، وأول

من ابتكر هذه الطريقة هو الفارابي في كتابة (ديوان الأدب) وتبعه في هذه الطريقة عدد من مؤلفي المعاجم العربية .

7. تعد المدرسة الهجائية الألفبائيه أسهل من مدرسة التقليبات، في سرعة العثور على الكلمة المطلوبة. وتعد الطريقة الثالثة من منهجها الأول وهي الطريقة الألفبائية الأولية التسلسلية أسهل الطرائق جميعاً. وذلك عند استعمال المعاجم الورقية. أما إذا استعملت المعاجم العربية من خلال الحاسوب فالأمر ميسر في العثور على الكلمة من أي معجم، مهما كانت مدرسته، أو منهجه أو طريقته.

الهوامش والإحالات:

(1) ينظر : صناعة المعجم الحديث، د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب، مصر، ط1،1998م:8

(2) المرجع نفسه:9

(3) ينظر: مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت، شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر، بيروت، لبنان :742

(4) لسان العرب، الإمام العلامة ابن منظور، دار الحديث، القاهرة، 2003م: 6/ 111

(5) البيان والتبيين للجاحظ عمرو بن بحر، ت . عبدالسلام هارون، مكتبة الجاحظ،مصر 1948م :1/ 366

(6) مسند أحمد بن حنبل، الامام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر، د.ت: 6/ 292.ينظر : غريب الحديث لابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي محمد بن بن علي الجوزي، تحقيق: د. عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،1985م:2/ 73.

(7) ينظر :لسان العرب:6/ 110،111.

(8) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ت . محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان :3/ 75– 76.

(9) لسان العرب:6/ 108،109.

(10) مقاييس اللغة:861.

(11) لسان العرب: 7/ 492

(12) السابق:7/ 492.

(13) شرح أشعار الهذليين، أبو سعيد الحسين السكري، تحقيق: عبد القادر أحمد فراج، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت:1/ 133.

(14) ينظر: المعجم العربي، د.حسين نصار، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق،1980م.7.8

(15) ينظر:المعجم العربي:6،وتاريخ اللغة:60.

(16) ينظر : دراسات في علم اللغة، د.حسن فتح الله سليمان، دار الحرم للتراث، القاهرة ط 2،2004م. :61،والقواميس والمعاجم اللغوية في الفكر العربي الإسلامي :أ.عبد الله الفضلي،بحث منشور في مجلة جذور العدد(27) 2009ص 152.

(17) طبقات الحنابلة، القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي، ت. دعبدالرحمن بن سليمان العثيمي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى :1/ 130

(18) ينظر: تاريخ العربية، د. عبد الحسين محمد، و د.رشيد العبيدي، ود. طارق عبد عون الجنابي، مؤسسة دار الكتب، بغداد، العراق، د.ت.:102-105،وعلم اللغة :115-116.

(19) ينظر: صناعة المعجم الحديث:35-62.

(20) ينظر: علم اللغة العربية، د.محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للنشر، مصر، د.ت. :49وما بعد.

(21) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، ت . د عبدالله محمود شحاته، دار إحياء التراث العربي :2/ 200، والجامع في الحديث:2/ 485

(22) ينظر: فصول في فقه اللغة، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط3،1987م. :109وما بعدها.

(23) ينظر:كتاب سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس، ت . إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد 1968م.

(24) ينظر:القوامييس والمعاجم اللغوية في الفكر العربي الإسلامي. أ. عبدالله علي الفضلي، بحث منشور في مجلة (جذور) العدد(27) 209م . ص 262.

(25) ينظر: طبقات المفسرين، الحافظ شمس الدين محمد بن علي أحمد الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان:1/ 313.

(26) ينظر: دراسات في علم اللغة :61،والقواميس والمعاجم في الفكر العربي والإسلامي،مجلة جذور :252.

(27) ينظر:الفهرست لابن النديم محمد بن اسحاق، طهران، د. ت:1/ 94،وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان :1/ 26.

(29) ينظر: ترتيب كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، انتشارات أسوة، قم ايران، 1414هـ.:1/ 52.

(30) ينظر:المعجم العربي:22وما بعدها،وتاريخ العربية :76وما بعدها.

(31) ينظر: علم اللغة العربية:97.

(32) ينظر: المعجم العربي:12.

(33) ينظر: تاريخ العربية:83.

(34) ينظر: علم اللغة العربية:113.

(35) ينظر: علم اللغة العربية:87.

(36) ينظر:كتاب الزينة ارهاصات أولية في العمل المعجمي العربي،د.عبد العزيز المقالح،بحث منشور في مجلة دراسات يمنية، العدد(70)سبتمبر،2003ص7.

(37) ينظر:الأثيل والدخيل في معجمنا العربية، د.الجيلاني،حلام،اللسان العربي،ص5.

(38) ينظر: المعجم العربي:48وما بعدها.

(39) ينظر:دراسات في علم اللغة :81.

(40) ينظر: تاريخ العربية:81وما بعدها،والمعجم العربي:41.

(41) ينظر:تاريخ العربية:86.

(42) ينظر:دراسات في علم اللغة :81.

(43) ينظر: المعجم العربي:32،و دراسات في علم اللغة :70.

(44) ينظر: دراسات في علم اللغة : 71.

(45) ينظر: المعجم العربي: 53وما بعدها.

(46) ينظر:تاريخ العربية :96.

(47) ينظر:دراسات في علم اللغة :82.

(48) ينظر: المعجم العربي: 61وما بعدها، تاريخ العربية:92،وعلم اللغة :105،و غوامض الصحاح:38.

(49) ينظر:دراسات في علم اللغة :72.

(50) ينظر: علم اللغة العربية:113وما بعدها.

(51) ينظر: فصول في فقه اللغة:282 وما بعدها.

(52) ينظر: المعجم العربي: 64وما بعدها، وفصول في فقه اللغة:284.

(53) ينظر: المعجم العربي:67وما بعدها، ودراسات في علم اللغة:87.

(54) ينظر:دراسات في علم اللغة :79.

(55) ينظر:في فقه اللغة:286،والمعجم العربي، وما بعدها.

(56) ينظر:المعجمية العربية وآفاق نمو المعجم العربي الحديث:80.

(57) ينظر:مقدمة الصحاح:95وما بعدها.

(58) ينظر: المعجم العربي:92.

(59) ينظر: المعجمات العربية نقد وتقويم:24وما بعدها.

(60) ينظر: المعجم العربي نقد وتوجيه، د/ عبد الكريم مصطفى مدلج، بحث منشور في مجلة الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة، المغرب، العدد(4)، 2004،ص 372.

(61) ينظر: البحث والمكتبة:145وما بعدها.

(62) ينظر:المعجمية العربية:29وما بعدها.

(63) ينظر:المكتبة:47وما بعدها.

(64)) ينظر: المعجم العربي نقد وتوجيه، د/ عبد الكريم مصطفى مدلج، بحث منشور في مجلة الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة، المغرب، العدد(4)،ص371 .

(65) السابق:373.

(66) ينظر: مقدمة ترتيب كتاب العين:1/ 53 وما بعدها.

(67) ينظر: تاريخ العربية:76وما بعدها.

(68) ينظر: المعجم العربي:41، وتاريخ العربية:81.

(69) ينظر: المعجم العربي:42وما بعدها.

(70) ينظر: تاريخ العربية:82.

(71) ينظر: معجم الجيم، لأبي عمر الشيباني إسحاق بن مراء، ت. إبراهيم الإيباري:53l1.

(72) ينظر: معجم مقاييس اللغة،كتاب السين"473.

(73) ينظر: أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت. عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، 1402–1982م :71.

(75) ينظر:التقفية، أبو بشر اليمان بن أبي اليمان البندنيجي، ت.د. خليل إبراهيم العطية، مطبعة العاني، بغداد، 1976م:38.

(76) ينظر: تاريخ العربية:90.

(77) ينظر: بواكير المعاجم العربية حتى عصر الجوهري، بحث لكرنكو،في الملحق المئوي لمجلة الجمعية الاسيوية الملكية سنة 1924م.نقلاً عن تاريخ العربية:92.

(78) ينظر: تاريخ العربية:89.

(79) ينظر: تاريخ العربية:91،92.

(80) ينظر:ترتيب كتاب العين، طبعة انتشارات اسوه، قم، ايران،1414هـ

(81) ينظر: لسان العرب، طبعة دار الحدي، القاهرة،2003م.